

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة
– دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار انموذجاً -
-دراسة ميدانية استكشافية -

أبلعيساوي الطاهر
جامعة سعد دحلب البليدة

مقدمة:

من المعايير الأساسية التي تحدد مستوى التقدم الحضاري في أي مجتمع من المجتمعات المعاصرة، ما يقدمه هذا المجتمع من اهتمام ورعاية وحرص لأطفاله، فالتركيز على الطفولة واحتياجاتها وإعطائها أولوية في المخططات السياسية للدولة، يعد ركيزة للتنمية البشرية، فأطفال اليوم هم رجال الغد وعدة الوطن وقوته المنتجة في المستقبل.

والجزائر على غرار باقي الدول الأخرى ساهمت في إعطاء أهمية للأطفال بصفة عامة، والأطفال الذين تخلى عنهم المجتمع على وجه الخصوص، وذلك بإنشاء مراكز مخصصة لهم والاهتمام بهم مهما كانت ظروفهم، لأن تركهم وإهمالهم ضرر كبير على أنفسهم وعلى مجتمعهم وخسارة واسعة في الطاقات البشرية، وفي ما يمكن أن تقدمه هذه الشريحة للمجتمع من طاقة وإنتاج وتقدم ومساهمة في دفع عجلة الرقي والتطور إلى الأمام وإلى أعلى المستويات، ومن هنا فإن الاهتمام بهذه الفئة أصبح امر ضروري على كل مجتمع من أجل الحد والتخفيف من هذه المشكلة بالبحث عن أسبابها ومحاولة إيجاد حلول كفيلة لمعالجة هذه الظاهرة وبتوفير كل اللوازم المساعدة على اصلاح وتوجيه ورعاية هذه الفئة.

وعليه جاءت دراستنا هذه لتظهر ما يجوب داخل مركز الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار، ومعرفة نوعية النظرة التي يخصصها المجتمع للطفل المسعف، ومعالجة بعض النقاط العالقة في الموضوع من خلال التطرق إلى المحاور الآتية:

المحور الأول: تحديد الإطار النظري و المفاهيمي للدراسة

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

المحور الثاني : واقع ظاهرة الطفولة المسعفة في المجتمع الجزائري
المحور الثالث: العوامل المسببة في انتشار ظاهرة انتشار الطفولة المسعفة في
المجتمع الجزائري.

المحور الرابع : عرض وتحليل دليل مقابلات الأئمة و الأساتذة المختصين.

المحور الخامس : تقديم الحلول المناسبة للحد من هذه الظاهرة .

1- الإطار النظري و المفاهيمي للدراسة

- إشكالية الدراسة

شهد المجتمع الجزائري في الآونة الأخيرة ارتفاع كبير في نسبة الإجرام
مقارنة بالسنوات الماضية، ويرجع الباحثين و المختصين في الإجرام أن
أسباب ارتفاع هذه الاعداد الكبيرة في نسب الجريمة هو تشتت بعض الأسر
وتفككها وفقدان هويتها والعلاقات الحميدة بين أفرادها وتغلب لغة العنف عن
لغة الحوار، وفقدان الوازع الديني، واستفحال العلاقات الغير الشرعية بين
الجنسين، وهذا بطبيعة الحال مما انجر عنه بروز ظواهر اجتماعية خطيرة
كالاعتداء الجنسي على الأطفال، وظاهرة أطفال الشوارع، وظاهرة الطفولة
المسعفة، وتعد هذه الأخيرة من الظواهر الاجتماعية التي عرفت انتشارا واسعا
نتيجة للتغيرات الاجتماعية السريعة التي شهدتها المجتمع الجزائري في
العشرية الأخيرة.

ان التكفل بهذه الشريحة الاجتماعية – الأطفال المسعفين - من مهام الاسرة
والمجتمع بما انهم هم السبب الرئيسي في ظهور هذه الفئة وفي معانات هؤلاء
الاطفال وعدم استقرارهم المعنوي والمادي، ولمواجهة هذه المشكلة عملت
السلطات المسؤولة على إنشاء مراكز متخصصة لاستقبالهم والاهتمام بهم مهما
كانت ظروفهم، وإدماجهم في المجتمع، وتحسين حالتهم النفسية والاجتماعية،
والعمل على خلق بيئة اسرية يسودها العطف والحنان داخل هذه المراكز،
واستثمار الطاقات التي بداخل هذه الشريحة الاجتماعية المهمشة لتعود بالربح
والسعادة على نفسها وعلى المجتمع بصفة عامة، عن طريق التوجيه والإرشاد
من طرف القائمين على هذه المراكز وفقا لقيم ومعايير المجتمع والبرامج
التربوية التعليمية والدينية .

وقد جاءت هذه الدراسة للبحث في حقيقة وواقع هذه الشريحة الاجتماعية
وتسليط الضوء عليها، وعليه قمنا بصياغة التساؤل الآتي :ماهو واقع الطفولة

المسعفة بمركز الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار؟

ويتفرع هذا التساؤل الى الاسئلة الآتية :

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

- هل يعوض مركز الطفولة المسعفة البيئة الأسرية للطفل المسعف؟
- هل النظرة التي يخصصها المجتمع للطفل المسعف، والعزلة الاجتماعية
المفروضة عليه دخل في إقباله على السلوك المنحرف؟
فرضيات الدراسة

- مركز الطفولة المسعفة لا يعوض البيئة الأسرية للطفل المسعف .
- لنوعية النظرة التي يخصصها المجتمع للطفل المسعف، والعزلة الاجتماعية
المفروضة عليه لها دخل في إقباله على السلوك المنحرف.
تحديد مفاهيم الدراسة :
1- الطفولة المسعفة :

هو الطفل الذي فقد معنى العيش في ظل الأسرة لظروف مختلفة مثل
الطلاق، الوفاة، الهجر،... الخ و وضع في مؤسسة اجتماعية بقصد توفير
الظروف المعيشية من مأكل وملبس ومأوى⁽¹⁾.
كما تم تعريف الطفولة المسعفة أو أيتام الدولة حسب قانون الصحة
العمومية في الجريدة الرسمية من الأمر رقم 79/76 في المادة 246 بتاريخ
23-10-1976 أين يوضح الوضعية المادية للأطفال وأين يتم استقبالهم تحت
وصاية مصلحة الإسعاف العمومي وهم:

- المولود من أب وأم مجهولين ووجد في مكان ما وهو الوليد اللقيط.
- الذي لا أب ولا أم له ولا أصل يمكن الرجوع إليه وليس له أي وسيلة
للمعيشة وهو اليتيم والفقير.
- الذي سقط من سلطة الوالدين بموجب تدبير قضائي وعهد بالوصاية إلى
الإسعاف العمومي للطفولة⁽²⁾.

التعريف الاجرائي للطفولة المسعفة :

الطفولة المسعفة حسب دراستنا هذه هي تلك الفئة من الاطفال المحرومين
من الرعاية الوالدية والمتواجدة في مراكز الطفولة المسعفة تتكفل برعايتها
الدولة، وهذه المراكز توجد بها فئات مختلفة من الاطفال المسعفين نذكر منها :
فئة الاطفال اللاشريعيين، تليها فئة الاطفال الأيتام ثم الاطفال الذين تركوا بسبب
انفصال الوالدين .

¹ عبد السلام، زهران حامد. علم نفس النمو والمراهقة . القاهرة: عالم الكتب، 1998، ص
279..

² الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية . الجريدة الرسمية للجمهورية
الجزائرية. الإسعاف العمومي للطفولة. العدد 101 19 ديسمبر 1976. الجزائر. ص 11-14.

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

التعريف الإجرائي للبيئة الأسرية : أما البيئة في دراستنا نقصد بها البيئة الأسرية التي تعتبر الجو الاجتماعي الأول الذي يهتم برعاية الطفل وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه وهي أيضا الوسط الذي يحوي جماعة من الأفراد تربطهم علاقات الدم أو النسب، والتي تتمثل في الزوج و الزوجة الأبناء، الجد، الجدة.....

ب- العزلة: هي وضعية قطع الصلة مع المتجانسين، وتدعى العزلة أيضا حرمانا اجتماعيا، إن العزلة الكاملة تقريبا تنتج في الحياة الواقعية إما نتيجة ظروف الحياة (فقد الشريك، حياة الوحدة في الوسط المدني)، وإما عن طريق الضغوط المهنية القسوى، وإما عن المظاهر النفسية المرضية، ومع هذه الأشكال للعزلة التي تتوافق مشاكل نفسانية مختلفة جدا ربما تتطلب تدخلا أو دعما خاصا. (1)

التعريف الإجرائي للعزلة: هي عملية قطع كلي أو شبه كلي للعلاقة والتعامل والتفتح على العالم الخارجي، أو هي قطع الفرد كل الصلة مع باقي أفراد المجتمع، إذا إفترضنا وجود علاقات فغالبا ما تكون هذه العلاقات سطحية.

ج- الانحراف: يشير الانحراف لغة إلى فعل انحراف ينحرف، أي مزاجه مال عن الاعتدال، فهو يعني الفشل في أداء الواجب أو ارتكاب عمل سيئ وخاطئ. أما من حيث الاصطلاح فيعرف بأنه "السلوك الإنساني غير السوي لأنه لا يتماشى مع القيم والعادات والتقاليد التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوك الأفراد فهو إذا عدم مسابرة المعايير الاجتماعية أو بمعنى آخر عدم التوافق أو الصراع (2)

وهناك من يعرف الانحراف بأنه "نتاج للتناقضات والتعارضات التي تظهر في البناء الاجتماعي، أي التعارض بين الأهداف المقررة والوسائل المشروعة، لتحقيق أهداف المجتمع. (3)

¹ رولان دوون، وفرانسوار بارو. موسوعة علم النفس. ترجمة فؤاد شاهين. بيروت: عويدات للنشر والطباعة. المجلد الثاني، ط 1، 1997، ص17

² سامية، محمد جابر. الانحراف الاجتماعي بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعي. مصر: دار المعرفة الجامعية، 1998، ص129

³ محمد، محمود مصطفى. الدفاع الاجتماعي النظرية والممارسة. القاهرة: مكتبة عين شمس، 2001، ص53

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

التعريف الاجرائي : الانحراف هو انتهاك للمعايير وقواعد المجتمع والخروج عن محدداتها وضوابطها بحيث يترتب عن ذلك الانتهاك معاقبة مرتكبيها سواء من طرف الجماعة أو المجتمع عقاباً يتدرج في شدته ونوعيته وفقاً لدرجة الانتهاك، وقد يشمل أنماطاً سلوكية مختلفة منها: التمرد على الوالدين وعصيانهما، القذف، السرقة وهتك الأعراض، الهروب من البيت والمدرسة، التدخين، تناول المسكرات بمختلف أنواعها كالخمر وتعاطي المخدرات، الشجار...

2- واقع ظاهرة الطفولة المسعفة في المجتمع الجزائري

ان ظاهرة الطفولة المسعفة ليست جديدة في المجتمع الجزائري، غير أن تفشيها في الآونة الأخيرة بالشكل الملفت للانتباه جعلها تأخذ بعدها المقلق بعد خروجها عن الوضع المألوف الذي كانت عليه في وقت مضى، فكل يوم يولد أطفال ليهملوا، وفي كل سنة تستقبل مراكز الطفولة المسعفة المئات من الأطفال غير الشرعيين، والأطفال الذين تخلت عنهم أسرهم.... والذي يكون مصيرهم موضوع بين أيدي هذه المراكز التي تستقبلهم وتقوم برعايتهم، وإما بين احضان عائلات تتكفل بهم داخل جو أسري.

وتعتبر الجزائر من بين الدول التي تبذل جهوداً مستمرة لتحسين وضعية الطفولة المسعفة، ويتجلى لنا هذا جلياً من خلال سنّها للقوانين والتشريعات لحماية الأطفال، وفتح المزيد من المراكز لاستقبال الأطفال المعاقين أو الأطفال دون نسب، والغير شرعيين.

فبموجب المرسوم رقم 80 – 83 المؤرخ في 15 مارس 1980 وطبقاً للمادة

(02) أصدر قانون إنشاء دور الأطفال المسعفين، والتي تعتبر مؤسسات عمومية ذات طابع إداري تتمتع بالشخصية المعنوية وبلاستقلال المالي، وتوضع تحت وصاية وزير الصحة والشؤون الاجتماعية، وهي أيضاً ذات طابع اجتماعي تأتي لاستقبال الأطفال المحرومين الذين تتراوح أعمارهم ما بين 0 إلى 6 سنوات ومن 06 إلى 19 سنة، لتضمن لهم الرعاية الكافية، وتضمن لهم العيش في ظروف حسنة كغيرهم، ويظل هؤلاء الأطفال تحت رعاية هذه المراكز إلى أن تتحسن أحوال أسرهم لقول لعل الأم ستعود يوماً لتأخذه تحت وخز الضمير، وفي حالة عدم الالتحاق بهم لأخذهم والتكفل بهم، يقوم المركز بإعدادهم للإلتحاق بمراكز الإعداد المهني التي تؤهلهم للعمل، ولقد بلغ عدد المراكز الموجودة سنة 1993 وسنة 1996 وصل إلى 13 مركز قدرت طاقة

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

الاستيعاب به ب 1535 طفلاً، لكن عدد الأطفال المسعفين المتواجدين بهذه
المراكز بلغ خلال سنتي 1993 و 1994 إلى 1069 طفلاً، وأما في سنة 1995
فقد انخفض عددهم إلى 1104 طفل، وهذا الانخفاض راجع إلى السن القانوني
لخروج الطفل وهو 11 سنة. (1)

وأكدت وزيرة الأسرة نوار جعفر أن الجزائر وضعت مخططاً يمتد إلى
غاية سنة 2015 لحماية الطفولة بشكل أفضل، سواء من ناحية سنّ المزيد من
التشريعات والقوانين لحمايتهم من شتى الأخطار، أو من ناحية التكفل بحقوقهم،
وعدّدت الوزيرة مكاسب الطفولة بالجزائر ومنها ضمان الدراسة مجاناً لـ 98
بالمائة من أطفال البلد، والتغطية الصحية المجانية لكل الأطفال، ما دفع
اليونيسيف إلى تلمين جهودها مؤخراً. (2)

ان هذا التزايد في نسبة الطفولة المسعفة كان نتيجة مباشرة لإختلال مفهوم
الرابطة الأسرية أو ما يسمى بقداسة الأسرة، مما إنعكس على المكانة
الاجتماعية لهذه الفئة من الأطفال والتي وجدت نفسها مهمشة أو مقصية من قبل
المجتمع، مما أدى إلى التأثير المباشر أو غير المباشر على سلوكياتها
وإستمرارها في الحياة بصورة طبيعية تسمح لها بالاندماج والتأقلم كغيرها من
أفراد المجتمع، كما تجد هذه الفئة من الاطفال المسعفين نفسها محل إتهام بذنب
لم تقترفه، لكن إقترفه الوالدين وتتكرا له هروبا من المسؤولية، ليبقى هذا الإبن
الغير المسؤول فاقدا الكثير من الحاجات مهما بلغت درجة العناية التي تلقاها في
مراكز حماية الطفولة المسعفة، أو في وسط العائلة الكفيلة، وعلى الرغم من
وجود بعض الأسر التي تتكفل ببعض هؤلاء الأطفال، إلا ان إستقرارهم النفسي
والإجتماعي يبقى مهددا في ضوء كل الظروف المحيطة بهم والذي غالبا ما
يدفع بهم إلى العزلة، أو إلى الإنحراف في مجتمع لا يشعرهم بالإنتماء، وهذا ما
اثبتته العديد من الدراسات الاجتماعية .

فقد كشفت العميد خيرة مسعودان، مكلفة بالمكتب الوطني لحماية الطفولة
بمديرية الشرطة، بمناسبة العيد العالمي للطفولة، عن توقيف 9.196 طفلاً

¹وزارة العمل والشؤون الاجتماعية. **مخطط عمل الوزارة وحقوق الطفل** . 1997 - 1996 ،

الجزائر: وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ،ص299

² "واقع الطفولة في الجزائر مشوب بالانتهاكات والسلبيات " .الاتحاد (الجزائر)
(2011-12-2. www.alittihad.ae/details.php?id=54793&y=2011)

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

وقاصراً، منهم مئات البنات، تورطوا في جنح مختلفة طيلة 2010، ومنها السرقة والضرب وإتلاف الممتلكات واستهلاك المخدرات وحبوب الهلوسة وتكوين عصابات والقتل العمدي، وأضافت أن هناك 129 طفلاً دون سنّ العاشرة تورطوا في بعض هذه الجنح، راجعة الأسباب إلى "تراكم المشكلات الاجتماعية وعدم تحمّل الأسرة مسؤولياتها كاملة اتجاه تربية أبنائها وتدني القيم الأخلاقية وسلبية المجتمع". وتحدثت مسعودان عن تعرّض 5.418 طفلاً لمختلف أشكال العنف طيلة سنة 2010، منهم 2.072 طفلة و974 طفلاً دون سنّ العاشرة، حيث تعرض 3.108 أطفال للضرب المبرح، و1.573 للاعتداء الجنسي بسبب نقص حماية الأولياء لأطفالهم، كما تعرّض 20 طفلاً للقتل العمدي.

(1)

من خلال قرأنا لهذه الإحصائيات يمكننا القول أن ظاهرة الطفولة المسعفة في تطور مستمر خاصة في السنوات الأخيرة في المجتمع، الذي من المفترض أن يكون مصدراً لحماية الطفل، رغم أن الأرقام المعلن عنها لا تعكس حقيقة ما يجري لأن من الضحايا وعائلاتهم يمتنعون عن التبليغ أو رفع الشكاوى لدى المصالح، خوفاً من الفضيحة، و الواضح أن الظاهرة انتشرت عبر مختلف المناطق سواء الحضرية أو الشبه حضرية عبر مختلف الولايات.

3- العوامل المسببة في انتشار ظاهرة انتشار الطفولة المسعفة في المجتمع الجزائري.

ان الرجوع إلى جذور اسباب انتشار ظاهرة الطفولة المسعفة في المجتمع الجزائري، نجدها متشعبة ومتداخلة أفرزتها عدة عوامل، نذكر منها مايلي :⁽²⁾
- فشل المؤسسات التنشئية والتربوية في مهامها.
- انهيار سلم القيم الاجتماعية.
- الفقر والبطالة، حيث أن غلاء المعيشة من الأسباب الرئيسية في ارتفاع ظاهرة الأبناء غير الشرعيين.

¹ نفس المرجع.

² جمال، معتوق. "حقائق وأرقام عن جريمة الزنا". جريدة الأيام، الجزائر، العدد 26، من 01/02/2003 إلى 07/02/2003، ص 8-9.

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
نموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

- العنوسة والخوف من عدم الزواج أحد أهم الأسباب في مجازفة الإناث للحصول على الزوج.
- ضعف الوازع الديني.
- تساهل الأولياء مع الأبناء في ربط علاقات مع الجنس الآخر.
- الاختلاط في أماكن العمل والتعليم.
- الهجرة الداخلية.

-الأوضاع الأمنية المتدهورة، حيث أنه نتيجة لإزدياد حالات الاغتصاب الإرهابي لبعض النساء والفتيات اللاتي لا تتجاوز أعمارهن في بعض الحالات 5 سنوات، وحالات من الاغتصاب اليومي للفتيات وأغلبيتهن فتيات قاصرات، وهذا ما يزيد بشكل كبير من حجم الظاهرة، فقد كشفت المسؤولة الاولى عن مكتب حماية الطفولة والأمومة بالمديرية العامة للأمن الوطني عن 1608 حلة اعتداء جنسي على الأطفال فيما عالجت 186 حالة اختطاف للفئة ذاتها خلال نفس الفترة – أي في سنة 2012 فقط (1)

-عدم مواكبة التغيير السريع الذي عرفه المجتمع ككل خاصة في البوادي- المناطق الريفية- وأمام الظروف المعيشية الصعبة وأزمة السكن، إضافة إلى المشاكل التي يواجهها الشباب المقبل على الزواج من غلاء المهور وارتفاع تكاليف العرس... إلخ، فإنه لا يجد سوى انتظار ساعة الفرج التي قد تطول وهذا ما يؤدي بصاحبه إلى ضعف وارتكاب الخطيئة، ويزداد إعراض الشباب عن الزواج(2) نتيجة الحرية المطلقة بين الفتيان والفتيات والرغبة في قضاء الشهوة بلا تكاليف.

¹2001 طفل اختطف سنة 2012 والأولياء المسئول الاول " . الشروق اليومي، 30 ديسمبر

2012 . ص 15.

²محمد، سيد فهمي. الفئات الخاصة من منظور الخدمة الاجتماعية . القاهرة: المكتبة

الجامعية ، ص 15

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

- كما لانتشار الدعارة والآفات الاجتماعية لا سيما على مستوى المراقص
والملاهي الليلية ساعدت على استفحال الظاهرة بشكل ملفت للانتباه.⁽¹⁾

- الطلاق : ونتيجة لهذه الحالة داخل مجتمعنا الجزائري نجد أن أبنائها يدفعون
ثمن أخطاء والديهم، فنجد الأبناء يعيشون حالات اضطرابية وعنف داخل
الأسرة بسبب غياب التناسق في الأدوار، مما يخل ببناء الأسرة الذي ينعكس سلبا
على وظائف المجتمع، وهذا ما نلاحظه من ملاحظتنا لواقع المجتمع
الجزائري.⁽²⁾

- ومن الأسباب الاقتصادية أيضا انتشار البطالة خاصة لدى فئة الشباب،
فالشباب الذي لا يجد عملا يكفل له دخلا منتظما لا يستطيع أن يتحمل كاهله بتحمل
مسؤولية أسرة والإنفاق عليها، وبما أنه لا يستطيع أن يكبح جماح غريزته فهو
مضطر إلى إتيانها في الحرام، بدلا من إتيانها في الحلال.
- انعدام السكن وغلائه امتلاكا وتأجيرا، هو من الأسباب الرئيسة التي حالت
دون الشباب والتفكير في الزواج المشروع، وهذا معناه وجوب إعادة النظر في
سياسة الإسكان.

- عدم تكفل مناهجنا التربوية بتربية دينية سليمة ومؤثرة في أبنائنا الأمر الذي
يجعلهم يتخرجون من المدرسة والمؤسسة التعليمية وهم مفتقرين لضوابط دينية
فعالة ترددهم، وتحول بينهم وبين الموبقات التي يسيئون بها لأنفسهم
ولمجتمعهم.

- قصور المناهج التعليمية والتربوية في بناء شخصية الإنسان العربية
والإسلامية، وقصور أجهزة الإعلام بمختلف أنواعها خصوصا ما يعرض في
قنوات الهوائيات المقفرة (البرابول) من أفلام خليعة بالجنس، وهذا ما يدفع
خاصة بالمراهقين إلى إقامة مثل هذه العلاقات خاصة وأن المجتمع الجزائري
يفتقد إلى التربية الجنسية الصحيحة، ضف إلى ذلك العناوين المعروضة مجانا

¹ Le Fonds des nations – unies pour l'enfance (UNICEF) " L'enfant
".Algerien
chapitre 3 : Les enfants vivants dans des circonstances difficiles en
Algérie, 1993, 26 -27.

² سعيدة، بن ناصر. "نظرة المجتمع الجزائري للأطفال غير الشرعيين". رسالة ماجستير،
علم الاجتماع الثقافي، البلدية. ماي 2007، ص 102

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

على مواقع الانترنت مما يدفع الفتيات إلى إقامة علاقات عاطفية تنتهي بإفقاد
عذريتهن وأغلبيتهن يقعن في الحمل، نتيجة لهذه العلاقات العابرة سواء
بالاغتصاب أو بالاستدراج تحت ما يسمى العشق والغرام، أو تحت الإغراءات
المادية، وهذه الظاهرة تفتت في كل ولايات الوطن وبغض النظر عن المستوى
التعليمي والأصل الجغرافي سواء كان حضري أو ريفي.⁽¹⁾

- غياب الرادع القانوني مما جعل الشاب يندفع مع غريزته مادامت ممارستها لا
تترتب عنها تبعات قانونية تلزمه بالزواج بمن عاشرها برضاها أو بدونه أو
على الأقل تلزمه بالتكفل بالوليد الناتج بالمعاشرة غير الشرعية، وبفعل غياب
هذا الردع القانوني عاث الشباب الذي لا دين له ولا خلق فسادا في المجتمع.

ومن خلال ما سبق عرضه من اسباب يمكن القول ان هذه الأسباب متشعبة
ومتداخلة، خاصة وأن المجتمع الجزائري شعب ذواق لكل السلوكيات السوية
منها وغير السوية، وخاصة وأنه مر بحكومات سياسية متعاقبة لم تعرف
الاستقرار في حكمها ولم تستقر في أوضاعها، وخاصة نحن في الألفية الثالثة أو
ما يسمى بعصر العولمة، الذي من اهدفه الخفية المس بسلم القيم والمعايير
الاجتماعية باعتبار أن خصائص المجتمع الجزائري مجتمع محافظ يستند في
معياره القانوني على ديننا الحنيف.

الاجراءات المنهجية والميدانية للدراسة:

ا- مجالات الدراسة الميدانية:

أولاً: المجال المكاني : يتمثل المجال المكاني للدراسة، والذي ارتأينا أن نأخذ
منه عينتنا المدروسة في مركز الطفولة المسعفة، وهذا المركز هو مركز النخيل
للطفولة المسعفة، والذي يقع في الأبيار المخصص للذكور والاناث معا والتابع
إداريا لولاية الجزائر، وهو عبارة عن مؤسسة ذات طابع اداري تتمتع
بالاستقلال المالي وهي تابعة لوزارة التضامن الوطني والأسرة، تقع دار
الحضانة للأطفال المسعفين في ولاية الجزائر التي تسمى "poirson" بالمري
النخيل " في حي سكني بشارع الشيخ الابراهيمى رقم 78 بوارسون تحدها من
الناحي الشمالية سفارة هولندا، ومن الناحية الجنوبية مدرسة الشيخ الابراهيمى
الابتدائية، ومن الناحية الشرقية سفارة ايطاليا ومؤسسة محمد بوضياف، ومن
الناحية الغربية جمعية المعوقين مساحتها الكلية حوالي 4 هكتارات ، ومن
المزايا التي توفرها هذه المؤسسة وجود حظيرة واسعة ومساحات خضراء

¹ نفس المرجع، ص 102

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

ومسبح كبير تتألف المؤسسة من ثلاث كتل بنائية في شكل مباني منفصلة عن بعضها البعض بناية رئيسية من نمط فيلا مخصص للأطفال من (0-6 سنوات)، بناية ثانوية فيلا ملحقة مخصصة للأطفال تزيد اعمارهم عن ستنة سنوات المصابين بالامراض والمجمع الاداري، اما فيما يخص عدد العمال يبلغ عددهم 70 موظفا يعملون على شكل ثلاث فرق.

ثانيا: المجال البشري : والمتمثل في العينة المدروسة، والتي تجلت في بعض من عمال مركز الطفولة المسعفة، والأساتذة المختصين في الدين وعلم الاجتماع وعلم النفس .

ب - المنهج المتبع في الدراسة :

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي، لأنه يرتبط بموضوع دراستنا للكشف عن معاناة هذه الشريحة من الأطفال وعن تأثير نظرة المجتمع إليها، وذلك قصد التعمق والتفصيل في فهم الأسباب الحقيقية ، والأثر النفسي والاجتماعي الذي يخلفه فقدان اسرته وتهميشه من طرف المجتمع وتحسيسه بأنه طفل غير مرغوب فيه، وما ينتج عن هذه المعاناة من انحرافات سلوكية وعدوانية وتأثير ذلك على اندماجه اجتماعيا.

ج - اداة البحث : استعملنا في دراستنا هذه اداة استمارة المقابلة، وهذا لطبيعة عينتنا المختارة، والتي تمثلت في مجموعة من المربيات والعاملين في الإدارة باعتبارهم الفئة اكثر احتكاكا ومعاملة مع الاطفال المسعفين داخل المركز، وتم اختيار المربيات كونهن محور العملية التعليمية التربوية، والقدرات على كشف الحقائق التي نرغب في الحصول عليها، باعتبار المربية تملك القدرة اللازمة بحكم كونها امرأة ولها الحنان اللازم الذي يساعدها في تنشئة الطفل .

د - مجتمع الدراسة والعينة : تم تطبيق اداة البحث والمتمثلة في استمارة مقابلة - بطريقة عشوائية مقصودة- على بعض عمال المركز، والذي كان عددهم 22 عامل(المربيات والعاملين في الادارة) وتم تطبيق ايضا هذه الاداة على 15 استاذ مختصين في مجالات الدين ،علم النفس، علم الاجتماع .

نتائج الدراسة :

- النتائج المتعلقة بمقابلات عمال المركز :

من خلال دراستنا الميدانية والمقابلات التي اجريناها مع المربين وعمال مركز الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار المتواجد في ولاية الجزائر تم التوصل الى جملة من النتائج نذكر منها مايلي :

- عمال المركز يساهمون بشكل كبير في تعليم الاطفال وتربيتهم، وتحسين سلوكياتهم وفقا لقيم ومعايير مجتمعنا الجزائري ، وهذا عن طريق البرامج التربوية والتعليمية والترفيهية، محاولين بذلك خلق جو داخل هذا المركز يحل محل الاسرة الحقيقية، معتمدين في ذلك على عامل الخبرة والتجربة في هذا المجال.

- اغلبية عمال المركز لهم علاقة طيبة بين بعضهم البعض والقائمة على اواصر الاخوة والمحبة والمساعدة المتبادلة والتواصل والتكامل في انجاز أعمالهم من اجل تلبية ولو بنسبة قليلة من حاجات الطفل ومتطلباته .

- كما ان غالبية العمال يصرون على امتلاك العامل داخل المركز الخبرة اللازمة لأنها تساعده على اداء مهامه بشكل جيد والاهتمام بتربية الطفل في كل مراحل نموه ، خاصة اثناء انتقاله من مرحلة الى اخرى .

- اغلبية العمال يصرحون بان نظرة المجتمع لهذه الفئة من الاطفال هي نظرة دونية وظالمه باستثناء بعض الفئات من المجتمع خاصة الذين يقومون بزيارتهم عادة وتقديم الهدايا لهم .

- المركز له القدرة على توفير الحاجات المادية من مأكلا ومشرب وملبس للأطفال المتواجدين به، إلا انه غير قادر على توفير الحنان والاستقرار الكامل للأطفال للعيش بصورة طبيعية، وهذا نظرا للعمل بطريقة المداولة خاصة من طرف المربيات، وطريقة تعامل كل واحدة منهن في التربية، كذلك نجد تعدد المربيات منذ صغر الاطفال يجعلهم في حالة عدم استقرار وتوازن نفسي.

- ليس بإمكان المركز ان يكون اسرة حقيقية للطفل، لانه يوفر له بعض الاشياء ويهمل أخرى حيث نجد المربية كأم بديلة، وغياب الاب الذي يعتبر عنصر اساسي يحتاجه الطفل لكي ينمو نموا متوازنا ومستقرا نفسيا - وهذا ما يدعم ويؤكد لنا صحة الفرضية الاولى- .

- عدم منح اطفال المركز الحرية الكاملة في اختيار ابسط الاشياء سواء كانت مادية او معنوية كاللباس والأكل، اختيار الألعاب النزهات والترفيهية، لان كل شيء يسير وفق برنامج مسطر من طرف ادارة المركز .

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

- عرض نتائج مقابلات الأئمة والأساتذة الإخصائيين في علم النفس وعلم الاجتماع:

- الاستنتاج الجزئي الخاص بالأئمة:

كون أن الوازع الديني يعد أحد أهم المقومات الشخصية للفرد، لذا اعتمدنا على الأئمة في معرفة نظرة الدين لهذه الفئة، ومن خلال عرض المقابلات تم استنتاج ما يلي:

- إن معظم الاجابات هي متقاربة في التعبير عن محتوى الاجابة، لكن النتيجة هي واحدة في كل الحالات لأنها مرتبطة بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم .

- معظم المبحوثين يتفقون على أنه لا يمكن تعويض الاسرة الحقيقية للطفل المسعف بمركز الطفولة المسعفة، لان هذا الاخير يوفر له بعض الحاجيات ويهمل الاخرى .

- بالنسبة لنظرة المجتمع لهذه الفئة هي فكرة خاطئة، ومجتمعنا قد توارث هذه الفكرة والنظرة، ويجب العمل والتوعية داخل افراد مجتمعنا، بأنهم ليسوا المذنبين، وأن الذنب هو ذنب لا بد أن يتحمله والديهم بل هم ضحايا أخطاء الغير، و الإسلام دافع عنهم وهذا من أجل ادماجهم بشكل طبيعي في المجتمع، و المعاملة التي يجب أن يتلقاها الطفل المسعف من أفراد المجتمع، يجب أن تكون مبنية على الرأفة والرحمة وحسن المعاشرة وعدم اهانتة بخطأ والديه، وعدم ترك فرصة أو مجال للتفكير في الانحراف.

- نظرة الشريعة الاسلامية لفئة الأطفال مجهولي النسب، فكلها تتفق على أن الاسلام ينظر اليهم على انهم اخواننا وموالينا في الدين، وبأنهم يعتبرون ضحايا ولا ذنب لهم واعتبرهم أشخاصا لهم كامل الحقوق داخل المجتمع وطلب العناية بهم وكفالتهم من دون تمييز .

- الاسلام أقر عملية التكفل ولكن لتسهيل حياة هذا الطفل وليس لإعطاء الصبغة الشرعية على الطفل، من التركة لكي لا يحرم الورثة من التركة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم / وسمح للكفيل أن يوصي له في حدود الثلث ... "الثلث والثلث كثير" ... وهذا من أجل حماية حقوقه المشروعة.

- أما فيما يخص وضعية المكفول داخل الأسرة الكفيلة فمن أجل أن يصبح محرماً يجب أن يرضع لبن أهل الكافل وهذا ما يسميه الفقهاء بالرضاع الكبير، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول " يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب".

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

-في نظر المبحوثين أن الأسباب التي أدت الى استفحال ظاهرة الطفولة
المسعفة هي: ضعف الوازع الديني، غلاء تكاليف الزواج والعزوف عنه، نقص
التربية، التجارة بالعرض والشرف، انهيار القيم، انتشار الثقافة الغربية، عامل
العنوسة، التفكك الأسري الفقر والبطالة... الخ

الاستنتاج الجزئي الخاص بأساتذة التعليم العالي:

ا- علم الاجتماع:

- اجمع المبحوثين انه لا يمكن ان تكون مراكز الطفولة المسعفة بديل لأسرة
الطفل الحقيقية، فالأطفال الذين يجدون توافقاً نفسياً ودمجاً اجتماعياً هم الأطفال
المتواجدين في الأسر الكفيلة، لأن الأسرة تعتبر دعم نفسي واجتماعي.
- النظرة الدونية والمحترقة والعزلة الاجتماعية التي تعاني منها هذه الفئة لها
دخل في الاقبال على السلوك الانحرافي والعدواني، وهذا نتيجة لشعور هذه
الفئة بعدم قبولها اجتماعياً، فإنها تقبل على عملية الانحراف وغالباً ما نجد الفتاة
تقبل على الانحراف بإقامتها للعلاقات الجنسية الغير المشروعة، في حين يقبل
الذكور على عملية الادمان على المخدرات والسرقة والاعتداء الجنسي وغيرها
من السلوكيات التي تتعارض مع قيم مجتمعنا الجزائري، والتي تصل في بعض
الأحيان الى الانتحار وهذا نتيجة احساسهم بأنهم غير مقبولين اجتماعياً
ومهمشين، وهذا ما يدعم موقف الفرضية الثانية.
- أغلبية المبحوثين يقرون بان عملية ادماج الاطفال المسعفين في المجتمع، لا بد
لها من تظافر جهود كل من مؤسسات التنشئة الاجتماعية والعمل على خدمة
هذه الفئة إدماجها مدرسياً وعملياً وأسرياً، وفي المقابل يجب على المجتمع أن
يغير نظرتة حول هذه الفئة ويشعرها بالقبول الاجتماعي حتى يتسنى لها عملية
التوافق النفسي والاجتماعي .

- يرجع المبحوثين الى اسباب هذه الظاهرة –الطفولة المسعفة - الى قصور
التربية الأسرية الصالحة وضعف الثقافة الدينية، وعدم وجود رقابة اجتماعية
على الأفراد والجماعات والتنظيمات المختلفة، وكذلك ما تبثه بعض وسائل
الإعلام من برامج غير هادفة، إلى جانب ضعف المناهج التربوية والتعليمية في
المدارس والمؤسسات التربوية، وضعف الوازع القانوني ووجود بعض
الثغرات ليست في صالح الاطفال المسعفين .

ب - علم النفس:

-يجمع اغلبية المبحوثين بأنه ليس بإمكان المركز ان يكون اسرة حقيقية للطفل
المسعف، لانه يوفر له بعض العناصر ويهمل الأخرى حيث نجد المربية كأم
بديلة، وغياب الاب الذي يعتبر عنصر اساسي يحتاجه الطفل لينمو نمواً
متوازناً، وهذا ما يؤكد لنا صحة الفرضية الاولى .

- إن أغلبية المبحوثين يقررون أن نظرة المجتمع سوف تؤثر على ديناميكية تسييرهم النفسي، وما يترتب من مشاكل ونقص في العناية والحرمان العاطفي، الأمر الذي يؤثر على نموهم النفسي، كما أن المشكل الذي سي طرح هو على مستوى صورة الذات ونمو الأنا، وهذا ما يجعل هذه الفئة من الاطفال ترتكب السلوك الانحرافي بدافع الانتقام من المجتمع ، وهذا ما تؤكده لنا **نظرية الوصم** المفسرة للسلوك الانحرافي والاجرامي، أما عن الطريقة التي يتم فيها معالجة الحالة النفسية لهذه الفئة، تم الاتفاق على أنه لا توجد وصفة جاهزة، بل لابد من المتابعة النفسية على مستوى المؤسسات التربوية، وأن يتم اقتناع الاطفال المسعفين بأنهم غير مسؤولون عن واقعهم الاجتماعي لكي لا يعطو نظرة سلبية عن حالتهم النفسية، وأن يتم التكفل بهم في وسط عائلي بديل ويكون مستقر حتى يعوض ذلك النقص، وبهذا نتمكن من تحقيق التوافق النفسي والاندماج الاجتماعي.

ومن خلال ما سبق عرضه من نتائج يمكن القول أن الفرضيات المقترحة في بداية الدراسة قد تحققت الى درجة كبيرة في ميدان بحثنا، ومنه يمكن ان نستنتج ان مركز الطفولة المسعفة لا يعوض البيئة الاسرية للطفل المسعف، ولنوعية النظرة التي يخصصها المجتمع للطفل المسعف، والعزلة الاجتماعية المفروضة عليه لها دخل في إقباله على السلوك المنحرف.

5- الحلول المناسبة للحد من هذه الظاهرة:

- اخضاع العاملين بمراكز الطفولة المسعفة إلى دورات تدريبية واختبارات نفسية، توضح مدى قدرتهم على التعامل مع هذه الفئة.
- الأم الحاضنة من الضروري وجودها في مركز الطفولة لتكون بمثابة الأم البديلة، والعمل جاهداً من طرف مدير المركز لتكون الام الحاضنة للطفل منذ صغره، وعدم استبدالها من فترة الى اخرى .
- وضع برامج اكثر فعالية تتماشى مع شخصية الطفل المسعف، ومحاولة اشراك رغبة الطفل في هذه البرامج بشكل عقلائي .
- وجود هذه الفئة غالباً ما يرتبط بخلل اجتماعي أو ارتكاب محظورات شرعية لكن ينبغي اجراء دراسات وبحوث لنخرج منها باحصائيات نعرف على ضوءها الأسباب الفعلية ونسبها، ونضع المقترحات الملائمة .
- ان عملية ادماج هذه الفئة في المجتمع تبقى حركة جماعية تركز على كل واحد منا، ولا يتحقق ذلك إلا إذا تغيرت عادات المجتمع ونظرت لهاته الفئة، وإعتبارها كضحية ظروف ما وليست مذنبه، بمعنى أن عملية الاندماج ليست

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة – دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

مسألة مادية بقدر ما هي قضية وعي اجتماعي، ولذلك يجب التكثيف من حملات التوعية داخل مؤسسات التنشئة خاصة المسجد، الأسرة، المدرسة - الاعتماد على نظام الأسر البديلة أو الكفيلة، والأسر الصديقة والزيارات الدورية، لأنها تساهم في ادماج الاطفال المسعفين في المجتمع .
- اعتماد اختبار الحمض النووي لتمكين الأطفال المسعفين من التعرف على آبائهم، خاصة أنه تبيّنت فعاليته في إثبات النسب بنسبة 99 بالمائة، وعلى السلطات العمومية إجبار الأم العازبة على تدوين معلوماتها الشخصية على دفتر التخلي النهائي عن المولود، لأنه من شأن ذلك مساعدة الطفل مستقبلا على الوصول إلى والدته إن أراد ذلك، وأن يتوجب على الأم تحمل مسؤولية فعلتها وألا تتخلى عن صغيرها.
- اعادة النظر في قانون الطفولة المسعفة، خاصة بعد بلوغ الطفل المسعف 18 سنة، والعمل على عدم تهميشه لكي لا يكون تحت تصرف الشارع .
- الموازاة في حقوق هذه الفئة كغيرها من الاطفال الاخرين .
- تدارك ظاهرة البطالة والفراغ، تشغيل الشباب والفتيات وعدم تركهم عرضة للفراغ والمفاتن.

خاتمة

تعد مراكز الطفولة المسعفة مرفقا لرعاية الاطفال وتربيتهم والتكفل بهم نفسيا واجتماعيا وصحيا وتربويا، ومن خلال دراستنا التي اجريناها بمركز الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار، استنتجنا ان هذا المركز يخلق جوا من الصراع النفسي والاجتماعي، ولا يعمل على تحقيق الهدف المرجو منه والمتمثل في عملية الاندماج الاجتماعي وخلق اسرة بديلة للطفل، وان تحققت هذه الاهداف تتحقق بنسبة ضئيلة جدا، وعلى الرغم من هذا لا ننكر مساهمة هذا المركز مع كل اعضائه في تربية ورعاية هؤلاء الاطفال المسعفين، وذلك بنقلهم من حياة الشوارع والضياع الى حياة يسودها النظام والاستقرار، وذلك بارساء القيم الاخلاقية والتربوية والاسلامية الصحيحة في نفوس الأطفال وهذا كفيل بان يجعلهم اعضاء نافعين، وطاقة بشرية مساهمة في قيام المجتمع وتطوره .

ولقد عرفت الجزائر في الاونة الاخير انتشارا واسعا لهذه المراكز على مستوى القطر الجزائري، وذلك نتيجة للتغيرات الاجتماعية السريعة التي شهدتها المجتمع الجزائري في العشرية الأخيرة، وان جل هذه التغيرات تظهر على مستوى السلوكيات والتصرفات، وتطور وتشابك العلاقات الاجتماعية.

واقع مؤسسات رعاية الطفولة المسعفة - دار الطفولة المسعفة النخيل بالأبيار
انموذجاً..... أبلعيساوي الطاهر

ولهذه الظاهرة أسباباً مختلفة ومتداخلة، تختلف باختلاف طبيعة المحيط الاجتماعي والأسري، منها قصور التربية الأسرية الصالحة وضعف الوازع الديني، وعدم وجود رقابة اجتماعية على الأفراد والجماعات والتنظيمات المختلفة، وكذلك ما تبثه بعض وسائل الإعلام من برامج غير هادفة، إلى جانب ضعف المناهج التربوية والتعليمية في المدارس والمؤسسات التربوية، وضعف الوازع القانوني، ووجود بعض الثغرات ليست في صالح الأطفال المسعفين، وإلى جانب ذلك تأثير التغيير الاجتماعي السريع الحاصل في المجتمع، والذي أدى إلى المساس بسلم القيم ومعايير الضبط الاجتماعي، ومنه تغير في سلوكيات وتصرفات وحتى الذهنيات وأفكار الأفراد، ومما أثر أيضاً على هذه الفئة من الأطفال نظرة المجتمع الدونية والمحتقرة والعزلة الاجتماعية التي تعاني منها هذه الفئة، وهذا ما جعلها في بعض الأحيان تقبل على السلوك الانحرافي والعدواني، وهذا نتيجة لشعور هذه الفئة بعدم قبولها اجتماعياً، وغالباً ما نجد الفتاة تقبل على الانحراف بإقامتها للعلاقات الجنسية، في حين يقبل الذكور على عملية الادمان على المخدرات والسرقة والاعتداء الجنسي وغيرها من السلوكيات التي تتعارض مع قيمنا وتقاليدنا، وتصل في بعض الأحيان إلى الانتحار وهذا نتيجة احساسهم بأنهم غير مقبولين ومهمشين اجتماعياً.

وعملية ادماج هذه الفئة في المجتمع تبقى حركة جماعية تركز على كل واحد منا، ولا يتحقق ذلك إلا إذا تغيرت عادات المجتمع ونظراته لهاته الفئة - الأطفال المسعفين - وإعتبارها كضحية ظروف ما وليست مذنبه، بمعنى أن عملية الاندماج ليست مسألة مادية بقدر ما هي قضية وعي اجتماعي، وللإشارة في الأخير فإن النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة خاصة فقط بالعينة المدروسة - عمال المركز ، الأئمة، الاساتذة المختصين في علم الاجتماع وعلم النفس - فهي نتائج نسبية قابلة للإثبات أو النفي من خلال دراسات جديدة لاحقة.